

أدلجة الاشتراكية التكاملية في رواية «الشراع والعاصفة» لحنّا مينه

رضا ناظميان^١، إحياء كماسي^{٢*}

١. أستاذ في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة العلامة الطباطبائي

٢. طالبة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها بجامعة العلامة الطباطبائي

تاريخ استلام البحث: ١٣٩٧/١٠/١٤ تاريخ قبول البحث: ١٣٩٨/١٠/٠٨

الملخص

الإيديولوجيا إنّها علمُ الأفكار تحاولُ الوصولَ إلى جذور المعرفة الإنسانية وفروعها وحدودها. وبينها وبين الأدب، علاقة وثيقة. أمّا الأدلجة فهي الالتزام بمذهب أو مبدأ معيّن من الأفكار واتّخاذ الطريقة والأسلوب لنهج معيّن. الاشتراكية من أشهر النظريات وأبرز الإيديولوجيات في الروايات العربية. من أهداف هذه النظرية، الالتزام بأهداف الطبقة العاملة وصياغة المجتمع الأوفر إنسانيةً وعدالةً على الأرض. حنّا مينه روائي سوري له إيديولوجية مختصّة به يعكسها في رواياته. وإنّه من الروائيين الذين يأخذون الرواية كأداة لبيان آرائهم وإيديولوجيتهم. رواية "الشراع والعاصفة" من روايات حنّا، تُقدّم لنا رؤية اشتراكية لكاتبها. أهمية مسألة إيديولوجيا الراوي وكيفية أدلجة الرواية اشتراكياً، جعلت الباحثان أن يبحثا عن هذا الموضوع ويُعالجاه بالمنهج الوصفي - التحليلي. من أهمّ النتائج التي وصل إليها الباحثان هي إنّ أبرز الميزة الاشتراكية الحاكمة في الرواية، هي التكاملية (التطورية). يعالج الراوي التكاملية في محورين أساسيين: (١) التكامل التاريخي؛ (٢) تكامل الشعور الإنساني. ونرى أنّ التزام الراوي بالاشتراكية لم يجعل أدبه متصنعاً.

الكلمات الرئيسية: الإيديولوجيا؛ أدلجة الاشتراكية؛ الروايات العربية؛ الشراع والعاصفة.

المقدمة

النص الأدبي يعكس نظريات الكاتب ويخدم أهدافاً إيديولوجية واضحة أو خفية. من الإيديولوجيات الحاكمة على الأدب العربي، هي الفكرة الاشتراكية. يعتقد أصحاب هذه الفكرة «أن المجتمع يكون أكثر عدالة وازدهاراً لو نظم على أسس اشتراكية وأنّ البشر يعيشون في سلام ووثاقٍ إذا تحققت الديمقراطية الاجتماعية التي تقوم على إنصاف الطبقات وعلى المشاريع التعاونية الجماعية» (أبو حاق، ١٩٧٩م: ١٧٩-١٨٠).

حتّى مينة من الروائيين الذين يرصدون هذه الرؤية في رواياتهم. تظهر ملامح الرؤية الاشتراكية ومظاهرها في أكثر رواياته وهو يُعدّ من رواد هذه الرؤية. يتخذ الرواية أداة هامة لبيان آرائه. روايته "الشرع والعاصفة" تعكس صورة واضحة لحقبة في تاريخ العرب السياسي والاجتماعي. وتسجل الرؤية الاشتراكية أكثر وضوحاً وتحديداً (حضور، ١٩٦٩م: ١١٨؛ والماضي، ١٩٨٩م: ١٤٨).

حتّى مينة يُعدّ من رواد الكتاب الذين يؤدجون الرؤية الاشتراكية في روايتهم ويجسدونها. روايته "الشرع والعاصفة" هي أكثر وضوحاً وتحديداً وملتزمة بالأيديولوجية الاشتراكية التي تُحدّد مفهوماً معيّناً للإنسان. فتصبح الرواية متميّزة عن الروايات الأخرى في المفهوم. أهمية مسألة كيفية استخدام الرواية كأداة لبيان آراء الكاتب وكيفية أدلتها والمفاهيم المستخدمة فيها ومسألة تطبيق الأسس العامة للفكرة الاشتراكية في الرواية، جعلتنا نبحت عن هذا الموضوع. من الأسئلة الهامة التي نريد أن نجيب عنها:

- (١) ما هي المفاهيم المعيّنة التي تنطلق من الإيديولوجية الاشتراكية في الرواية؟
- (٢) كيف يُودج حنّا مينة الرؤية الاشتراكية في روايته؟
- (٣) ما هو الأسلوب والمنهج المعين الذي يختصّ بالكاتب؟
- (٤) ما مدى توفيق الكاتب في أدلجة الرؤية الاشتراكية؟

خلفية البحث

من خلال بحثنا عن موضوع دراستنا فقد عثرنا على مقالتين وكاتنا من المصادر المهمة والرئيسية التي استفدنا منها: (١) "الدلالة الاجتماعية للشكل الروائي في روايات حنّا مينة" التي كتبها شكرى الماضي وتمّ نشرها في العدد ٣١ و٣٢ من مجلّة "فضول" في سنة ١٩٨٩. الكاتب في هذا البحث يدرس جميع روايات حنّا مينة

ويقوم ببيان الفنون الروائيّة المستخدمة في الروايات وبيان أفكار الراوي وإيديولوجيته في المسار الروائي. (٢) "المضمون الاجتماعي في رواية: الشراع والعاصفة" التي كتبها أديب حضور وتمّ نشرها في العدد ٩١ من مجلّة "المعرفة" في سنة ١٩٦٩. الكاتب يبحث عن المضامين الاجتماعيّة المستخدمة في رواية "الشراع والعاصفة". من أهمّ النتائج التي استنتجها الباحث، هي «أنّ الرواية أول رواية عربية عن البحر وعمل ملحميّ وصياغة سياسية لأوضاع شعبنا السياسية والاقتصادية والاجتماعية والطبقية».

أنجزت بحوث عديدة حول أدب حنّا مينه والأدب الاشتراكي منها:

١. "المدرسة الواقعيّة الاشتراكيّة عند عبد الوهّاب البياتي وأحمد عبد المعطي حجازي": هذه دراسة مقدمة لنيل درجة الماجستير بجامعة العلّامة الطباطبائي. الباحث "عباس راستگو" يقوم بدراسة أشعار هذين الشعارين ونقدها وتحليلها على الرّؤية الاشتراكية.

٢. "مظاهر الواقعية التفاضلية في أدب نجيب محفوظ وتداعياته": كتبها عدنان طهماسبي وحواد أصغري وتمّ نشرها في مجلّة "دانشكده ادبيات وعلوم انساني دانشگاه تهران" سنة ١٣٨٥ في العدد ١٧٨. من أهمّ النتائج التي وصل إليها الباحثان، أنّ نجيب محفوظ نشر رواياته على الاشتراكية والماركسية علماً بأنه يعتقد بالتكاملية الداروينية المنطوية في ثلاثيته الحافلة بها في إطار تاريخي.

٣. "الواقعية الاشتراكية في النقد العربي الحديث": كتبها شكري غالي وتمّ نشرها في العدد ١ من مجلّة "الآداب" في سنة ١٩٦١. في هذا البحث، يقوم الباحث بدراسة صلة الفنّ بالحياة والواقعية الاشتراكية وتطبيقها في الروايات العربية.

٤. "الطروسية وعالم حنّا مينه الروائي": كتبها نجاح عطار عن شخصيّة الطروسي (هو بطل في رواية الشراع والعاصفة) ونشرت في العدد ١٤٦ من مجلّة "المعرفة" في سنة ١٩٧٤. الكاتب في هذا البحث يقوم بتعريف الشخصيّة الأصلية أي الطروسي في الرواية. من النتائج المهمّة التي توصل لها هي أنّ «أبرز ما يميّز العمل الروائي ليس قدرة الكاتب على أن يمنح أبطاله الحياة، بل قدرته على متابعة خط التطور في حياتهم بشكل ينسجم مع ذواتهم... وهذا يتحقّق في أعمال حنا تحقّقاً لا سبيل إلى نكرانه».

٥. "الواقع الأدبي: حنّا مينه وتناقض وعي الكاتب": كتبها عبّاس أحمد لبيب ونشرت في مجلّة "فصول" في المجلد السادس وفي سنة ١٩٨٥ العدد ١. تتناول هذه الدراسة ثلاث روايات: الشراع والعاصفة، والثلج يأتي من النافذة، والشمس في يوم غائم، محاولة تبيين ما يمكن تسميته بإيديولوجيا النص لا إيديولوجيا الكاتب.

٦. "حنا مينه... أديب التجربة والمعائلة": كتبها أحمد محمد عطيه ونشرت في مجلة "الأداب" في العدد ٢ وفي سنة ١٩٧٤. من أهمّ النتائج التي استخرجها الباحث، هو أنّ التوافق بين تجارب حنا مينه ومعاناته الحياتية وأدبه هي المفتاح والدليل لفهم أدب حنا مينه؛ إذ أنّ الامتزاج بين الفكر الاشتراكي ومدارس الاشتراكية الأدبية والتجارب الفكرية الاشتراكية ظلّ بعيداً عن التأثير في أدب حنا مينه حتى عام ١٩٦٩. هناك بحوث وكتب عديدة تتحدّث عن الإيديولوجيا وعلاقتها بالفن والأدب وتتحدّث عن الأدب الاشتراكي في آثار الشعراء والرواة. وقد استفدنا من معظم هذه الدراسات في هذا البحث ووصلنا إلى أنّه لا يوجد أيّ بحث يقوم بتحليل ودراسة كيفية أدلجة الاشتراكية في رواية "الشراع والعاصفة" ومدى توفيق الراوي في تطبيق المبادئ العامة للرؤية الاشتراكية في الرواية.

منهج البحث

يعتمد هذا البحث على المنهج الوصفي-التحليلي الذي يغوص في البحث بالتحليل الدقيق المتكامل من خلال دراسة النماذج من الرواية وتحليلها من جهة كيفية استخدام المضامين الاشتراكية ومبادئها ثم تحليل مدى توفيق الكاتب في تطبيق هذه المبادئ.

٢. الإيديولوجيا والأدلجة

الإيديولوجيا: من الصعب تقديم تعريف شامل لمفهوم الإيديولوجية التي تتفق عليها جميع الكتب العلمية. تم تقديم مفهوم الإيديولوجيا لأول مرّة في فلسفة فرنسا في نهاية القرن الثامن عشر إذ كانت تعني علم الأفكار (عطا، ٢٠١٣م: ٢٤؛ راغب، ٢٠٠٣م: ٨١).

الإيديولوجيا (Ideology) لغوياً «هي وضع النظريات بطريقة غير عملية. الإيديولوجية هي (١) مجموعة نظامية من المفاهيم في موضوع الحياة أو الثقافة البشرية. (٢) طريقة أو محتوى التفكير المميّز لفرد أو جماعة أو ثقافة. (٣) النظريات والأهداف المتكاملة التي تشكّل قوام برنامج سياسي اجتماعي» (البلبكي، ٢٠٠٨م: ٥٦٧).

إذن الإيديولوجيا علمٌ يحاول دراسة جذور الفكر ومبادئه، ومجموعة من المعتقدات السياسية والاجتماعية وغيرها التي تحدّد مجال العمل السياسي والاجتماعي و... (برو، ١٩٩٨م: ٢٠٦؛ وادي، ٢٠٠٢م: ٣٣).

الأدلجة

فهي الالتزام بإيديولوجية معيّنة أو إلزام شخص أو مجموعة بالقيم والأفكار والرؤى المرتبطة بإيديولوجية معيّنة لجعل هذا الشخص أو المجموعة ممن يؤمن بهذه الإيديولوجية ويُقيم بأعمال مرتبطة بها (العروي، ٢٠١٢م: ١٢). والأديب المؤدلج هو الذي يصبّ عقله في أطر جديدة ويسير في تيارات حديثة ويلزم عقله بأخذ هذه الدعوة ويُجسّدُها في أدبه.

العلاقة بين الأدب والإيديولوجيا

إنَّ ارتباط الإيديولوجيا بالأدب يعودُ إلى العصور القديمة. في ذلك الوقت، كان الأديب يقدمُ وجهة نظره مباشرة أو غير مباشرة دون أن يكون على وعي متبلور أو إدراك متعمّد. أمّا في العصور المبكرة فتحوّلت وجهة نظر الأديب إلى إيديولوجية سياسية أو اجتماعية و... (راغب، ٢٠٠٣م: ٨١).

الجدير بالذكر أنّ اتخاذ إيديولوجية محدّدة للأدب يجعلُ رؤية الفنّان أكثر شمولية وعمقاً. وتكون سلاحاً بيده حتى يتعد عن الحلس والتخمينات في تشريح الظاهرة (الماضي، ١٨٨٩م: ١٤٢).

الإيديولوجيا والاشتراكية

«من أبرز تيارات الإيديولوجيا في الأدب ومن أشهر النظريات، هو الرؤية الشيوعية أو الماركسيّة (الاشتراكية) التي احتلّت مكانة مؤثّرة في نطاق عالمي» (حسيني وسهرابي، ٢٠١٧م: ٤٥). «الأدب الاشتراكي من بين جميع المذاهب الأدبية المعاصرة، أوفرها إنتاجاً وأعظمها شمولاً وأشدّها تجاوزاً لحدود الأمم» (الخطيب، ١٩٧٢م: ٤٤).

٣. الاشتراكية

المذهب الاشتراكي من أبرز الإيديولوجيات والنظريات الحاكمة على الأدب. «كان مكسيم جوركي هو الذي وضع هذا المصطلح لتمييز الأدب الاشتراكي عن غيره من الاتجاهات الأدبية الواقعية» (غالي، ١٩٦١: ٤٩). فقد كان مفهوم الاشتراكية في بدايته العدالة الاجتماعية والإصلاح الاجتماعي ثمّ تبلورت هذه الكلمة فكانت تعني مذهباً اقتصادياً واجتماعياً نتيجة للظلم والانحطاط وسوء المعاملة (عزالدين، ١٩٦٨م: ٣٨؛ موسى، ٢٠١٢م: ١٧).

مميزات المذهب الاشتراكي

الاشتراكية كجميع المذاهب الأدبية أو الاتجاهات لها مميزات وملامح خاصة. منها (١) استخدام النشاطات في خدمة الشعب (٢) الالتزام بالطبقة العاملة (٣) التفاؤل (٤) التطلّع إلى المستقبل (٣) الإيمان بوحدة قضايا الشعوب ووحدة نضالها في سبيل التحرّر الاجتماعي والسياسي (٤) النضال على المستعمرين والمحتكرين (٥) تنمية شعور الشعوب (٦) إكرام الثوريين والمتقنين (٧) التكامل التاريخي و....

المذهب الاشتراكي في العالم العربي

ظهرت الاشتراكية في العالم العربي في أواخر القرن التاسع عشر عند فئة قليلة من المفكرين المثقفين فاستهوتهم بعض آراء الاشتراكيين الأوروبيين. شبلي الشميل طبيب لبناني الأصل كان من رواد المفكرين الذين نادوا بمثل هذه الآراء في العالم العربي. ظهر مفكر اشتراكي آخر في مصر هو سلامة موسى (١٨٨١-١٩٥٨) ونشر كتاباً عن الاشتراكية (أبو حاق، ١٩٧٢م: ١٧٩-١٨٠).

الاشتراكية عند الرواة

شارك الرواة في نشر الفكر الاشتراكي واتخاذ وسيلة للكتابة وتسجيله في أدبهم. منهم: طه حسين صاحب رواية "المعذبون في الأرض" وحنّا مينه صاحب رواية "المصاييح الزرق" و"الشراع والعاصفة" وأديب نحوي صاحب رواية "متى يعود المطر" وتوفيق يوسف عواد صاحب "الرغيف". فارس زرزور صاحب رواية "الن تسقط المدينة" و"حسن جبل" ونجيب محفوظ صاحب رواية "زقاق المدق" و"القاهرة الجديدة" و كثير من الرواة الآخرين (السعافين، ١٩٨٧م: ٣٨٠-٣٨١ وعزّ الدين، ١٩٦٨م: ١٥).

الاشتراكية عند حنّا مينه

أصدر حنّا مينه عدداً من الروايات وكان يؤدج الفكرة الاشتراكية فيها فيعدّ رائد هذا النوع من الروايات ويتميّز عن سائر الروائيين لكثرة إنتاجاته واستمداد رؤيته الاشتراكية من المعاناة الفعلية على أرض الواقع وتتطور رؤيته الفنيّة من رواية إلى أخرى (الماضي، ١٩٨٩م: ١٤٣).

٤. حنّا مينه ورواياته

حنّا مينه روائيٌّ سوريٌّ وُلِدَ في اللاذقية. نرى أنّه يُجسّد الواقعة الاجتماعية والصراع الطبقي ومعاناة الناس في

رواياته، ويتناول البحر وحياة البحارة فيها. من أهم رواياته رواية "الشرع والعاصفة" و"المصاييح الزرق" و"الثلج يأتي من النافذة" و"الباطر" و"الشمس في يوم غائم" (عطية، ١٩٧٤م: ٣٩-٤٠؛ بشير العوف، ٢٠٠٨م: ٦٩). توفي حنّا يوم ٢١ آب عام ٢٠١٨.

٥. كيفية الأدلجة الاشتراكية التكاملية في رواية "الشرع والعاصفة"

رواية "الشرع والعاصفة" مملوءة بالملاحم والميزات الاشتراكية. لكن من أبرز هذه الميزات التي تظهر في الرواية هي التكاملية (التطورية). تظهر التكاملية في الرواية من جانبين: التكامل التاريخي وتكامل الشعور الإنساني وتطوره.

أولاً. التكامل التاريخي

البيئة تتحلّى في الأدب الاشتراكي بصورة توافق الحقيقة التاريخية التي تتغيّر وتتطوّر بتغير الزمان وتطوره. والتكامل حاصل من صراع الاتجاهات الاجتماعية المختلفة الذي يُؤثّر في حياة الشخصيات وعلاقاتها. إذن التاريخ في الأدب الاشتراكي ليست تاريخاً بالقضاء والقدر وليس الإنسان حاصل ظروفه ودون اختيار في التكامل التاريخي بل هو عامل وقوة محرّكة في التكامل التاريخي (ساجكوف، ١٣٦٢ش: ٢٥١).

رواية "الشرع والعاصفة" قصة مدينة سورية ساحلية (اللاذقية) أثناء الحرب العالمية الثانية. الراوي يصوّر الحقيقة التاريخية أي الحرب العالمية الثانية وآثارها فيها ثمّ يودج التكامل التاريخي وتطوره في ثلاثة محاور: (١) الزمان؛ (٢) سلطة القوى على الناس؛ (٣) مظاهر الحوادث الاجتماعية. مهما يتكامل ويتغيّر الزمن، تتغيّر سلطة القوى؛ ومهما تتغيّر سلطة القوى في المجتمع، تتغيّر الحوادث الاجتماعية. الرواية من جهة الزمان وتطوره تنقسم إلى خمسة أزمنة: (١) سنوات ما قبل الحرب العالمية الثانية؛ (٢) سنوات بدائية من الحرب؛ (٣) سنوات وسطى من الحرب؛ (٤) سنوات نهائية من الحرب؛ (٥) سنوات ما بعد الحرب. القوى السياسية والاجتماعية تتصارع للوصول إلى السلطة. إذن نرى في كل فترة، تظهر قوة وتشتدّ سلطتها ثمّ تتغيّر وتتحوّل الحوادث الاجتماعية والسياسية في المجتمع تبعاً لها.

١) سنوات ما قبل الحرب العالمية الثانية

الإقطاعية هي القوة الحاكمة التي تظهر في الرواية سنوات ما قبل الحرب. الإقطاعيون يملكون الأرض في الأرياف والمدنية. إذن انقسام القدرة بين الملاك في اللاذقية عمل بارز عندهم. وممّا يمكن الاستشهاد به في

الرواية حول هذا الموضوع: «هذه المدينة الواقعة إلى الشمال الغربي من البلاد... فالإقطاع هو السيد... لقد اقتسموا المدينة إلّا أقلّها. وفي حيّ "الشيخ ظاهر" حيث مرّاب السيارات، تسيطر عائلة "مظهر" على حركة النقل. وفي حيّ آخر تحكم عائلة أخرى، فتسيطر على قطاع آخر من الحياة. وفي الميناء تحكم عائلة مماثلة» (مينه، ١٩٨٢م: ٢٢-٢٣).

من أبرز مظاهر الحوادث الاجتماعية والسياسية المتصورة في الرواية التي تقع في المجتمع بسلطة النظام الإقطاعي، هي:

(١) عدم الحركة التجارية: النظام الإقطاعي من الناحية الاقتصادية كان يعتمد على الأراضي الزراعية ولا التجارة البحرية. وهذا النظام يستغلّ الفلاحين للعمل فيها وكانت الأراضي هي الوسيلة الأساسية للإنتاج؛ إذن نرى أنّ الراوي يصوّر اقتصاد اللادقية في هذه الحقبة معتمداً على الزراعة. يُجسّد الراوي هذه الظاهرة في الرواية هكذا: «أمّا في زمنه، فلم تكن في المرفأ هذه الحركة التجارية الواسعة ولا هذا العدد الضخم من هذه المواعين ولا هذه الكثرة من العمّال» (نفس المصدر: ٣٢-٣٣).

(٢) انحطاط الأخلاق: لقد أذى النظام الإقطاعي إلى نفوذ القوى في المجتمع واسترقاق الأشخاص بحيث أصبحت عامة الناس فقيرة دون حقوق اجتماعية. الراوي يحدّد هذه الظاهرة الاجتماعية في الثأر والعادات غير الأخلاقية. فمن أجل صور هذه الحادثة التي يُجسّدها الراوي في روايته هذه: «هذه المدينة قديمة بعض القدم في بنائها وعاداتها. إنّ الأخلاق تزرع هنا تحت كابوس التقاليد. يظلّ الثأر ديناً حتى يوفى، حتى يغسل الدم بالدم» (نفس المصدر: ٢٢).

(٣) انزغال الأشخاص عن التدخّل في الأمور الداخلية: الاشتراكيون يعتقدون بأنّ «المعيشة الاجتماعية للنّاس هي التي تحدّد إدراكهم» (عبده، ١٩٩١: ٦٤). الراوي يؤدجّ هذه الفكرة في أحسن الحالات ويرى النظام الإقطاعي سبباً لعدم تدخّل الناس في الأمور وانحطاط إدراكهم. ومما نراه في الرواية حول هذه الظاهرة: «ولقد كان محتملاً أن يأتي الطروسي ويفتح مقهى في هذه البقعة الصحريّة، ذلك أن أصحاب النفوذ لا يديرون المقاهي... إمّا أن ينتصر للبحارة، ويتدخّل في شؤون الميناء» (مينه، ١٩٨٢م: ٢٣).

(٤) التمرد والثورة الشخصية على الظلم والاستبداد دون حصيلة ونتيجة: ومن جملة ما يظهر في الرواية حول هذه القضية ظهوراً ملفتاً هو: «وحيثما بعد حين، في هذا الحيّ أو ذاك يقوم رجلٌ أو يستيقظ عقلٌ أو تتولّد من نفس النزاعات بينهم، قوّة تعمل ضدّهم وإذ ذاك يلوح لهم الخطر ويضعون في حسابهم مسألة حذف هذا الشيء الجديد» (نفس المصدر: ٢٢).

٥) الاعتراض على سلطة الانتداب والاستعمار لأجل منفعة شخصية: النظام الإقطاعي أدى إلى الاستبداد والظلم دون ثورة واعتراض عليه. الراوي يحدّد ثورة الناس على الظلم والاستعمار ثورة ذا منفعة شخصية وغير مستهدفة ودون حصيلة. ومما ورد في الرواية حول هذا الموضوع: «فإذا اصطدمت مصالحهم بعقبة ما، انقلبوا معارضين وعندئذ يمكن الإفادة منهم في بعض الحركات وخاصّة في العمل ضدّ أعوان سلطات الانتداب، شريطة أن تكون زعامة العمل وفقاً عليهم في هذا المجال أيضاً» (نفس المصدر: ٢٣).

ب. السنوات البدائية من الحرب العالمية الثانية

تظهر قوّة جديدة في سنوات بدائية الحرب وتشتدّ ساعدها وقدرتها وهي القوّة البرجوازية. البرجوازيون كانوا يمتلكون رؤوس الأموال والحرف ويسيطرون على المجتمع.

الانتقال من نظام إلى نظام ومن سلطة إلى سلطة يؤدي إلى تغيير الحوادث السياسية والاجتماعية وإلى تغيير آراء الناس. من أهمّ تغييرات المجتمع اللاذقي التي يعكسها الراوي في الرواية أثناء السنوات البدائية من الحرب وفي سلطة القوّة البرجوازية هي:

١) الحركة التجارية الواسعة واحتكارها وكثرة العمّال: ثار البرجوازيون على الإقطاع وكانوا يعتمدون على التجارة وأرباحها لا على الأرض الزراعيّة. يصوّر الراوي تجارة اللاذقية في هذه الحقبة معتمداً على التجارة البحرية ويصف كثرة السفن التجارية والبضائع وكثرة العمّال: «هذه السفن التي ترسو بعيداً في البحر، وهذه المواعين التي تحمل إليها ومنها البضائع، وهؤلاء المئات من الحمّالين» (نفس المصدر: ٣٣).

نرى في الرواية أنّ البرجوازيين يمتكروا في صنعة ميناء اللاذقية ويستخدمون العمّال ويسيطرون على الإنتاجات التجارية. أبو رشيد ممثّل برجوازي ومحتكر ملكية المواعين: «أبو رشيد هو الحاكم بأمره لا يحقّ لغيره، إنزال ماعون إلى البحر ولا يحقّ لسواه تشغيل أحد من العمّال، هو الذي يفرّغ السفن والمراكب وهو الذي يحملها فيقبض أجوراً باهظة ويدفع أجوراً تافهة» (نفس المصدر: ٢٤).

٢) الظلم والاستبداد على العمّال: الراوي يصوّر العمّال والحمّالين في هذه الحقبة خاضعين للبرجوازيين: «كان البحارة وعمّال الميناء يعيشون في خوف دائم. فمن يرضى عنه أبو رشيد يشتغل ومن يغضب عليه، يترك الميناء أو يغرق ذات يوم قضاء وقدرًا» (نفس المصدر: ٣٥).

٣) عدم مطالبّة العمّال بحقوقهم: يعتقد الاشتراكيون بأنّ الإنسان «مرتبط بالبلد الذي يعيش فيه ارتباطاً لا ينفصم» (عبده، ١٩٩١: ٧٠). إذن نرى أنّ الراوي يؤدج هذه الفكرة في الرواية ويرى أسلوب النظام البرجوازي سبباً لسلب اختيار الناس وسيروهم سيراً جبرياً في المجتمع: «حاملين الأكياس والصناديق وهم

يرتجفون تحتها وظهورهم تتقوس لتقلها وعروقهم تنفر لشدتها ولكنهم مع ذلك لا يرحون صاعدين هابطين ورائحين غادين. لا يستطيعون التوقف ولا الراحة ولا المطالبة بحق من الحقوق» (مينه، ١٩٨٢م: ٣٥).

٤) عدم تدخل الناس في الأمور الداخلية: نشأ النظام البرجوازي السوري في قلب النظام الإقطاعي ومازال الناس يفكرون في مصالحهم اليومية وفي الحصول على فائدة مباشرة وملموسة ولا يدركون النتائج الاجتماعية. يصور الراوي هذه الظاهرة في أحسن الحالات: «يا أبا زهدي أنت رجل وأبو رشيد يقدر الرجال... ولكن إذا بلغه عنهم ما يسيئه أو تدخل أحد منهم في شئون الميناء لا يستطيع أن يحتمله وأنت تعرف عناده وتعرف مدى قوته ونفوذه و...» (نفس المصدر: ٢٧).

٥) خفق الثورة الشخصية والوعي عند الناس ومنع سريانه إلى العمال: يجري التطور في المجتمع السوري بالثورات الشخصية بحيث لا مجال للثورات الجمعية. يجدد بنا هنا أن تتمثل بهذه الصورة: «إنني لا أخشاه هو بل أخشى سريان عدواه إلى غيره وعندئذ يتسع الخرق ويجتمع عامل إلى عامل وبحار إلى بحار ويطالبون بحقوقهم ويؤلفون نقابة ويتدخلون في شئوني... لا، لن أسمح بهذا» (نفس المصدر: ٣٩).

ج. السنوات الوسطى من الحرب العالمية الثانية

الكوبرادورية هي القوة الحاكمة والمسلطة على المجتمع في سنوات أثناء الحرب. «هذه القوة كانت تقوم بدور الوسيط بين السوق العالمية والسوق المحلية» (حضور، ١٩٦٩م: ١٢٨). شركة "أمبريال" في الميناء كانت تقوم بهذا الأمر وكانت شركة أجنبية لشراء التبغ وتسويقه. من أهم الصور المرتبطة بقيام النظام الكوبرادوري في المجتمع هي: «إن أبا رشيد لم يكن في الميناء أو كان ولم يره، لذلك أنهى مهمته وصعد باتجاه شركة الأمبريال قاصداً البطرنة» (مينه، ١٩٨٢م: ١٥١).

يتغير الزمن وتتغير سلطة القوة تبعاً لها. ثم تقع حوادث وأفكار جديدة لم تكن مشهودة في الفترات السابقة. فلو أمعنا النظر في الرواية لثرى فيها حوادث متصورة، من أجلها ما يلي:

١) ظهور التحمس للسياسة عند عامة الناس: يعتقد الاشتراكيون أن «اختفاء القديم ونشوء الجديد هما قانون للتطور» (عبده، ١٩٩١م: ٩٩). فالراوي يؤدج هذه الفكرة في الرواية ويرى أن المبادئ قابلة للتغيير والأنظمة الاجتماعية غير ثابتة. فإذا نرى أن شعور الحماسة عند الناس قد حل محل اللاواعيات في هذه الحقبة من المجتمع السوري: «كانوا أصنافاً من الطلاب والموظفين وصغار الملاكين وكان سماع برلين نوعاً من العمل السري في نظرهم وقد زادت هذه السرية في اجتذابهم إلى ألمانيا نكاية بفرنسا والإنكليز» (مينه، ١٩٨٢م: ١٠١).

٢) ظهور حركات وتظاهرات وطنية غير منظمة: ترتبط الحوادث والأشياء في المجتمع ارتباطاً تاماً. ظهور التحمس عند الناس يؤدي إلى ظهور فكرة قيام الثورة في المجتمع. ومن الصور التي وردت في الرواية عن هذه الظاهرة: «أنا أخباري داخلية. سمعت في البازار أن الجماعة في الشام سيقومون بحركة... وتجمعوا أكثر حواليه، ولم يستطع أبو حميد نفسه أن يبقي لا مبالياً. -حركة؟- أرى نعم، ويمكن أن تقوم في الشام وحلب وحماة وحمص واللاذقية بوقت واحد» (نفس المصدر: ١٢٧).

٣) بداية التحرك والتنقّر ضد الاستعمار: يجسّد الراوي هذه الظاهرة في الرواية هكذا: «فرنسا وبريطانيا دولتان استعماريتان. وهما عدوتان لدودتان لنا، ولكن ألمانيا دولة مستعمرة وعدوة أيضاً. فلماذا نريد انتصارها وهي لن تنتصر. ومن الخير ألاّ تنتصر» (نفس المصدر: ١٣٣).

٤) ظهور نماذج وطنية بدائية الوعي: والذي يراه الناظر في الرواية متمثلاً بمثل هذه الصورة: «فلما ظهرت ألمانيا هتلرية على المسرح قال أبو حميد في نفسه: وما من ظالمٍ إلاّ سيبلى بأظلم وانضمّ إلى المعجبين بهتلر، المتحمسين لألمانيا، الداعين لها، الشاميين فرنسا والإنكليز في كل مجلس وكلّ ساعة من ساعات الليل والنهار» (نفس المصدر: ٩٢).

د. السنوات النهائية من الحرب العالمية الثانية

في السنوات الأخيرة من الحرب، بدأت القوّة المعروفة بالكتلة الوطنية تسعى للوصول إلى السلطة. كانت تنادي في الظاهر باستقلال البلاد من أيدي الاستعمار ولكنهم كانوا يقصدون في الأصل الوصول إلى القدرة واحتكارها. ينعكس صورة ظهور السلطة للكتلة الوطنية في الرواية هكذا: «... الكتلة راح تتسلم الحكم» (نفس المصدر: ١٢٨). و«تسلّمت الكتلة الحكم» (نفس المصدر: ١٣٧).

إذن تغيّرت الحوادث الاجتماعية والسياسية في السنوات الأخيرة من الحرب، تبعاً لتغيير السلطة الحاكمة على المجتمع. من أبرز صور تغيير الحوادث في الرواية، هي:

١) إجراء الانتخابات النيابية وإقامة أول برلمان في البلاد: يجري التطوّر في هذه الفترة الزمنية بالنزاع بين القوى الداخلية المضادة. كانت حصيلة هذه الظاهرة إجراء الانتخابات والديموقراطية في المجتمع السوري: «كانت الانتخابات النيابية قد جرت منذ عامين. قام في البلاد أول برلمان بعد الاستقلال وأول رئيس للجمهورية» (نفس المصدر: ١٣٧).

٢) ازدياد الحركة في الميناء واشتداد قوّة أبي رشيد: كان أبو رشيد ممثلاً لإقامة التناقضات بين القوى الداخلية، وهذا من أجل صور هذه الظاهرة المنعكسة في الرواية: «ازدادت الحركة في الميناء، وقوي نفوذ أبي

رشيد بسبب نجاح الكتلة في الانتخابات وتسلمها لمقاييد الحكم» (نفس المصدر: ١٣٨).

٣) لا يزال الاستعمار يسيطر على البلاد: لم تصل القوى الثورية في هذه الحقبة إلى حدّ يمكنها الغلبة على الاستعمار غلبة تامة. يجدر بنا هنا أن نتمثّل بهذا القول للراوي: «ظلّ الجيش وبعض المؤسسات في يد السلطات الفرنسية كما ظلّ لها جهاز استخبارات خاص بها، ومثله للقوات العسكرية الانكليزية الموجودة في البلاد» (نفس المصدر: ١٣٧).

٤) استغلال الكتلة الوطنية للوصول إلى القدرة: كانت التناقضات والنزاعات بين القوى الداخلي للوصول إلى القدرة حاکمة في هذه الحقبة. والكتلة الوطنية هي من أهمّ هذه القوى: «كانت تركز في حكمها على بعض عناصر الإقطاع، فاستغلّ هؤلاء الحكم لمصلحة طبقتهم» (نفس المصدر: ١٣٨).

٥) ظهور بدايات الثورة الشعبية والوعي الشعبي لتحقيق استقلال البلاد من كلّ الاستثمارات: ومما يُشاهد من اعتقاد الراوي حول هذه الحادثة في هذه الفترة أنّه يذهب إلى أنّ لا مناص من الثورات: «فقصّ عليه ما سمع، وتحدّث عن أهمية تأليف نقابة عمّال الميناء، والتمهيد لذلك بالاتصالات والاجتماعات. فلو لم يناضل الشعب، ما تحقّق الاستقلال، ولولا الاستقلال ما استطاع الناس المطالبة بحقوقهم والحصول عليها» (نفس المصدر: ١٤٨-١٤٩).

هـ. السنوات ما بعد الحرب

الكتلة الشعبية وقوة الثوريين من أقوى السلطات الحاكمة على المجتمع في هذه الفترات. كانت الكتلة الشعبية تسعى اتخاذ القدرة واحتكارها. نرى في هذه الفترة تغيير الحوادث مناسبة للظروف. ثم نرى قوة الثوريين تظهر في المجتمع وتوسعى لاستكمال استقلال البلاد واتخاذ حقوق العمّال و عامة الناس.

الكتلة الشعبية كالكتلة الوطنية، كانت تستغلّ كل شيء للوصول إلى الحكم. وتجعل من الشعب جسراً إلى أهدافها. ومن الصور التي تنعكس عن سلطة هذه الكتلة في الرواية، هي: «ساعد انتهاء الحرب على زيادة مكاسب الكتلة الشعبية، فقد طرحّت شعارات فيها إخراج للفئة الحاكمة، وتشهير بها بسبب من أسوء الحكم، مستغلة النعمة المتزايدة في أوساط الشعب لتجعل منها جسراً إلى الوزارة» (نفس المصدر: ٢٨٧).

من أهمّ الحوادث التي تقع في هذه الفترة وعلى ضوء حكومة الكتلة الشعبية، هي:

١) تحسّن الظروف الاجتماعية: نستشهد بهذا القول للراوي في هذا الموضوع: «وكان الناس قد أطلّوا على دنيا السلم من شرفة أفراحهم. لم تعد ثمة ظروف استثنائية... إنّ الازدحام الشديد على الأفران ومراكز

توزيع الحبوب والوقود قد انتهى الآن» (نفس المصدر: ٢٨٧).

٢) تغيير حاجات الناس: نرى أنّ حاجات الناس تتغيّر في هذه الحقبة. فننتقل حاجاتهم من الحالة الفردية إلى الحالة الاجتماعية. يصوّر الراوي هذه الظاهرة في روايته هكذا: «انفتح المجال للمطالبة بحاجات أساسية كتعديل القوانين والإصلاحات والعمران وشارت في شبه زوبعة، الانتقادات حول فساد الإدارة والمحسوبة ورفدت جميع هذه المطالب نمر المطالب الأكبر: استلام الجيش وتحقيق الجلاء» (نفس المصدر: ٢٨٧).

٣) اشتداد النشاط السياسي والوعي عند الشعب: ومّا يمكن الاستشهاد به عن هذه الظاهرة في الرواية هي: «بدت البلاد في غليان سياسي شمل المعاهد والمساجد والنوادي والمقاهي والشوارع والأحياء» (نفس المصدر: ٢٨٨).

٤) اشتداد الثورة على الاستعمار ولزوم الحصول على الاستقلال: مما نراه في الرواية حول هذه الظاهرة في الرواية: «وظهر أن المستعمرين لم يعودوا قادرين على التصرف بمصائر الشعوب وفق هواهم وارتفع شعار جلاء القوات الأجنبية أو الثورة في كل مكان» (نفس المصدر).

قوة الثوريين هذه كانت كالنقابة والتنظيم، مشتملة على الحرفيين وصغار الكسبة وأصحاب الدكاكين والعمّال والطلّاب والشباب. كانوا يناضلون للوصول إلى استكمال استقلال البلاد من كلّ قوّة وسلطة وجلاء الاستعمار. «ولكن الفئة الكبرى من كل هذه الأطراف، التقت على صعيد الكفاح وبدأ التمهيّد للعمل المشترك» (نفس المصدر: ٢٩٥). من الحوادث المهمة التي تقع في هذه الفترة، هي:

١) تقارب الناس وزوال الخلافات: يصل تطوّر المجتمع السوري بسلطة قوّة الثوريين إلى حدّ النضج. وتتحوّل الظروف والحوادث. ويتغيّر الناس من حالة النزاعات والتناقضات إلى حالة التقارب والاتّحاد. يصوّر الراوي هذه الحادثة هكذا: «وكان الناس قد تقاربوا برغم تباين المعتقدات والآراء. نادى دمشق فلبّت حلب وحمص وحماة واللاذقية والسويداء» (نفس المصدر: ٢٩٥).

٢) تظاهرات الشعب واتّحادهم: نرى أنّ الثورات الجماعية أصبحت ميسّرة في هذه الحقبة بسلطة قوّة الثوريين. وينتقل الناس من الثورات الفردية غير المجدية إلى الثورات الجماعية المفيدة. فالراوي حتّا مينه يصوّر هذه الظاهرة في روايته بهذا الشكل: «وكانت المظاهرات تنفجر في جميع المدن السورية، والإضرابات شبه عامة بين طلّاب الثانويات والصحف تنشر الافتتاحيات النارية» (نفس المصدر: ٢٩٥).

٣) ضعف الاستعمار: كان الاستعمار على وشك السقوط والانحطاط في هذه الحقبة. ولم تكن

السلطة بيده كما كان سابقاً. يصوّر الراوي هذه الحادثة في روايته هكذا: «التاريخ لا يعيد نفسه، فرنسا اليوم غير فرنسا بالأمس، إنّها أضعف والإنكليز أضعف، نحن أقوى، الدنيا تغيرت» (نفس المصدر: ٢٩٨).
 (٤) تمهيد السلاح للمعركة ضدّ الاستعمار والظلم والوصول إلى الاستقلال الكامل: يُستخدم كل الامكانيات في هذه الحقبة ليحري التطوّر إلى النهاية ويقلع الاستعمار والظلم تماماً. من أبرز صور هذه الحادثة: «كان بعض الشباب قد اندفعوا تلقائياً إلى العمل، ودفَعوا بعض المال لشراء قطع صغيرة من السلاح» (نفس المصدر: ٢٩٦).

كيفية أدلجة تطوّر الزمان و سلطة القوى في الرواية



ثانياً. تكامل الشعور الإنساني

تكامل شعور الإنسان الاجتماعي هو الموضوع الطاعني في الواقعية الاشتراكية (ساجكوف، ١٣٦٢م: ٢٥٩). المراد من تكامل الوعي والشعور الإنساني، التكاملي التدريجي في أفكار الإنسان وتطوّر شعوره. إذن تُرفض وتُطرد الدوافع الشخصية في المجتمع الاشتراكي شيئاً فشيئاً ومتدرجاً وتتأثر العقلية البشرية بالمصالح الاجتماعية ثم تتغيّر وتتطوّر (نفس المصدر: ٢٧٤).

أما الراوي فيؤدج تطوّر وتكامل الشخصيات في الرواية بأربع مؤلّفات كما أنّه يستخدم منهج انتقال الشخصيات من مرحلة إلى مرحلة أخرى:

أ: انتقال الشخصيات من مرحلة العزلة وعدم التدخّل في الأمور السياسية والاجتماعية إلى مرحلة النشاط والحضور السياسي والحماسة

محمد بن زهدي الطروسي هو شخصية محوريّة في الرواية. تدور الرواية حول هذا المحور الأساسي. في بداية الرواية، نرى أنّه شخص منعزل عن الناس ودون تدخّل في الأمور السياسية والاجتماعية: «إلا أنّ الطروسي لم يكن يبالي كثيراً بإقبال الناس أو إدبارهم وقد حاول أبو محمد أن ينصحه فصاح به: لاتتدخل في أموري. ثمّ لم يلبث أن اعتذر إليه، وخاطبه بهدوء وحنان: -يا عم أبو محمد، لأستطيع أن أكون كسائر أصحاب المقاهي، أفضي عمري في مرضاة الناس، أنا لم أخلق لهذه المهنة» (مينه،

١٩٨٢م: ١٦). أما أخيراً فتتجلى شعبيته. هذه المرحلة من حياته كانت ذات أهمية بارزة تُسببها حادثة الرحموني الذي أنقذه الطروسي ومركبه من الغرق: «وكانت تضحية الطروسي في الشتاء من هذا العام، حادثاً ذا أثر في النفوس. صحيح أنه لم يتعمد الأشياء لذاتها ولم يصارع العاصفة ليحظي بالتقدير غير أن الذي يزرع القمح لا يحصد الزؤان» (نفس المصدر: ٢٧٩).

إسماعيل كوسا من الشخصيات الأصلية في الرواية. هو كان ملاًك متوسط ومن الذين لا يهتمون بالأمر السياسيّ ثم يتغيّر ويتحمّس للأمر السياسيّة: «إسماعيل كوسا ملاًك متوسط، يعيش من أملاكه وهو لا يهتمّ بالسياسة عادة، ثمّ ظهر الآن وهو غارق فيها حتى أذنيه فمن أين هبطت عليه هذه الحماسة؟» (نفس المصدر: ١٢٧). في الأخير نراه يدافع عن الكتلة الوطنية ويعتقد بأن الشعب يتخلّص من المستعمرين بعودة الكتلة الوطنية: «ولم يكن إسماعيل أكثر الحاضرين وجاهة، لكنّه أوثقهم صلة بالكتلة، وكان عليه أن يدافع عنها أمام هجمات الناس» (نفس المصدر: ٢٩٤).

ب. انتقال الشخصيات من الأهداف الشخصية إلى الأهداف الجماعية

في بداية الرواية نرى أنّ الطروسي شخص يريد أن يصل إلى مقصده الشخصي أي الرجوع إلى البحر: «وكان الطروسي يؤمن بمجيء ساعته ويعمل لها ويخلص في إيمانه إخلاصاً عجيباً» (نفس المصدر: ١٦). وأمّا في الأخير فيلزم نفسه على أداء واجباته أمام الشعب وتصفية أعماله بقبول مسؤولية اشتراء الأسلحة للتوريين وانتقالها لهم: «ازدادت الجلسة حماسية، وظهر الارتياح على الوجوه، وبدأوا يستعرضون الأسماء، فلمّا ورد اسم الطروسي قال: أعفوني من عضوية اللجان، أجمعوا المال واشتروا السلاح وأنا أقوم بنقله» (نفس المصدر: ٣٠١).

ج. انتقال الشخصيات من مرحلة اشتداد الحماسة والتحمّس لآرائهم الشخصية إلى مرحلة خفة الحماسة وتغيير الآراء

من الشخصيات الرئيسية هي شخصية أبي حميد الذي يلقّب بأبي الأخبار ويذيع أبناء البرلين ويدافع عن البرلين وهتلر. في البداية نواجه باشتداد حماسه لهتلر: «وكانت آراء أبي حميد معروفة؛ فهو لا يحبّ فرنسا ولا بريطانيا، ويأمن بالمثل القاتل (عدوّ عدوّك صديق) ومادامت ألمانيا تحارب فرنسا وبريطانيا فإنّها صديقتي، وهو صديقها وانتصار ألمانيا انتصار للعرب» (نفس المصدر: ٩١-٩٢). الأستاذ كامل وأبوحميد يختلفان في الرأي. أبوحميد يتحمّس لبرلين وإذاعة أخباره أمّا في الأخير فنرى أنّ حماسه تخفّ ويعتبر الأستاذ عارفاً. من أبرز الصور التي نواجهها في الرواية في ترسيم صورة أبي حميد ورأيه، صورة تُرسم حينما ينعقد حوار بين الطروسي

والأستاذ كامل حول أبي حميد: «أراؤه في الروس ليست كالسابق وحماسته لألمانيا خفّت. وقد مدحك منذ أيام، وقال أنك رجل فهمان، لأنك عرفت أنّ ألمانيا ستتكسر» (نفس المصدر: ٣٠٣-٣٠٤).

د. الانتقال من مرحلة التمرد الشخصي على الاستعمار والاحتكار إلى مرحلة التظاهرات الجمعية

في البداية يظهر عند الطروسي إحساس التنقّر الذاتي والشخصي بالظلم والاحتكار ويخرج خروجاً ناقصاً من عزلته ومُجسّ الظلم الاجتماعي والاحتكار على العاملين. ويظهر النزاع في باطنه بين التدخّل في أمور العاملين والمظلومين وعدم الإغماض عن احتكار أبي رشيد وبين قبول الظلم وعدم التدخّل في أمور خارج المقهى وانتظار الرحيل والرجوع إلى البحر: «لقد لام نفسه لأنّه يتدخل، ثم وجد أنّه لا يستطيع أن يسكت، إضافة إلى أنّه في بعض القضايا يجرّ إلى التدخّل جراً، فليس ضميره ولا لسانه بقادرين على اصطناع اللامبالاة حيال ما يرى ويسمع وكان يقول: إذا سافر الإنسان أراح واستراح. أنّه يتعدّد عن الميناء وجوّها، وينسى أن في بلده يقع هذا كلّه، ولكنني لا أستطيع السفر ولا أستطيع السمع والسكوت» (نفس المصدر: ٢٣-٢٤).

العامل الذي يحرك إحساس التنقّر عند الطروسي ويسبّب خروجه من عزلته، هو المعركة مع ابن برو والانتصار عليه الذي استأجره أبو رشيد لدفع الطروسي عن الميناء: «صالح برو هذا بحار، غير أنّه لا يعمل في البحر، أنّه يمتهن القتل، وقد استأجره صاحب المواعين ودفعه لإخضاع الطروسي أو إبعاده عن البطرنة» (نفس المصدر: ١٨).

في الأخير تنضج شخصية الطروسي وتنتهي تكامل شخصيته. نرى أنّه يشارك في الحركة الوطنية والشعبية ويرى لزوم الحضور في المجتمع: «القضية ليست قضية فرد بل مجتمع، ينبغي إصلاح المجتمع» (نفس المصدر: ٣٦٤). الطروسي في هذه المرحلة من حياته، ينتبه إلى آراء المثقفين والثوريين الذين يجتمعون في المقهى ويريدون أن يحققوا الاستقلال لبلدهم وتُعجبه آراؤهم. إذن يخطو خطوة أخرى في تنمية وعيه: «ولا بأس كذلك من سماع أقوال الزبائن الآخرين. بل لا بدّ من سماعهم حيناً بعد حين. ويتساءل في ذات نفسه: ... وأنا؟ مع من أنا؟ لسْتُ مع أحد ولست ضدّ أحد، ولكن إذاعة برلين تعجبني، وحديث الأستاذ كامل يقنعني، وبعض الأحاديث الأخرى تسليني، بل تجذبني» (نفس المصدر: ٣٨).

الأستاذ كامل هو الشخصية المثقفة والثورية في الرواية. كان معلّم التجهيز ويعمل ضدّ الاستعمار ويدافع عن العمّال والفلاحين. حوار الطروسي مع الأستاذ وإقناعه بكلامه كان سبباً رئيسياً في تطوّر شخصيته ونمو وعيه: «مازحه الأستاذ كامل قائلاً: فلو لم يناضل الشعب ما تحقّق الاستقلال، ولولا الاستقلال ما استطاع

الناس المطالبة بحقوقهم والحصول عليها. لو انتصرت ألمانيا لأصبحنا في مرتبة العبيد. النازية: كيف أشرحها؟ طاعون، أتعرف الطاعون؟ فقد انخرمت ألمانيا الآن، ولكن الإنكليز والفرنسيين يلعبون علينا، يريدون سلبنا الاستقلال بكلّ وقاحة ولكنهم عاجزون، عاجزون تماماً» (نفس المصدر: ١٤٩). نرى الطروسي عند القيام بالسفر يركن إلى رأى الأستاذ ويلتمس مشورته في مسألة السفر: «لقد تعزّز هذا اليقين في نفسه بما سمع من ثناء الأستاذ كامل عليه. وكان قد اعتاد الركون إلى آراء صاحبه والتماس مشورته، وربما أحوجه أن يعرف مقدار الخطأ والصواب في عمل ما فينظر إلى موقف الأستاذ منه ويقول: ليس هذا سيئاً مادام قد وافق عليه. مادام قد حبّذه. والتقى بعد أيام فعرض عليه مسألة السفر طالباً رأيه. قال الأستاذ: هذه مسألة خاصّة، هذا عملك أنت، وفي كلّ الأحوال ليس في البلد ما يُوجب ترك الأعمال الآن» (نفس المصدر: ٣٢٧).

النتيجة

رواية "الشراع والعاصفة" لحنا مينه من الروايات التي تُجسّد فيها الرؤية الاشتراكية. مهما يكن من أمر فإننا نستطيع أن نوجز كيميّة أدلجة الاشتراكية في هذه الرواية في النتائج التالية:

التكامليّة (التطوريّة) من أبرز ملامح الرؤية الاشتراكية التي يُجسّدها حنا مينه في روايته. إنّ الراوي واقف بملاح الرؤية الاشتراكية ويعلم أنّ تطوّر وتغيير الحوادث الاجتماعية والسياسية تبع لتطوّر الزمان وسلطة القوى. ويؤدج هذه الفكرة في المحورين: (١) التكامل التاريخي (٢) تكامل الشعور الإنساني. ويجدر بالذكر أنّ الراوي يجعل للتكامل التاريخي ثلاث مؤلّفات: (١) الزمان (٢) سلطة القوى (٣) الحوادث الاجتماعية والسياسية.

تغيير سلطة القوى تبع لتغيير الزمن: سنوات ما قبل الحرب العالميّة الثانية = القوّة الإقطاعيّة/ سنوات بدائية للحرب = القوّة البرجوازيّة/ سنوات وسطى للحرب = القوّة الكومبرادورية/ سنوات نهائيّة للحرب = الكتلة الوطنيّة/ سنوات بعد الحرب = الكتلة الشعبيّة وقوّة الثوريين.

الراوي يؤدج فكرة تكامل الشعور الإنساني وتطوّرها في أربع مؤلّفات: (١) الانتقال من مرحلة الأهداف الشخصيّة إلى مرحلة الأهداف الجمعيّة والشعبيّة. (٢) الانتقال من العزلة وعدم التدخّل في أمور الناس إلى التحمّس في الأمور الشعبيّة والسياسيّة. (٣) الانتقال من شدّة التحمّس للإيديولوجيّة الشخصيّة إلى خفّة التحمّس. (٤) الانتقال من مرحلة التمرد الشخصي على الاستعمار والاحتكار إلى

مرحلة التظاهرات الجمعيّة.

الطروسي نموذج ومصدق بارز لتطوّر الشعور الإنساني في الرواية. أربعة عوامل تُحرّك شعور وتسبب في تنمية وعيه: (١) المعركة مع ابن برو والانتصار عليه (٢) الحوار مع الأستاذ كامل (٣) إنقاذ الرحموني ومركبه (٤) قبول مسؤوليّة انتقال الأسلحة للتوّار.

يمكننا القول أنّ الراوي يؤدج الفكرة الأساسيّة للاشتراكيّة (أنّ الحوادث والأفكار انعكاس عن الواقع) في قسمين: قسم عضويّ وجزئيّ كبنية سطحيّة تشبه أغصان الشجرة وهي الظواهر الاجتماعية والسياسية والأفكار؛ وقسم رئيسي وكلي كبنية عمقيّة تشبه جذور الشجرة وهي سلطة القوى. إذن يؤثر ظهور القوى في كبنية ظهور الظواهر والأفكار. إنّ الراوي يتمن النظر في خلق الشخصيات الثورويّة وتكامل الحوادث والشعور الإنساني من بين ميزات الأدب الاشتراكي؛ وقد يُعتبر هذا منهجاً خاصاً بالراوي. مؤدّي ذلك كلّهُ أنّ التزام الراوي بالاشتراكية لم يجعل أدبه متصتّعاً. ويمكن أن نعتبر هذا من إحدى توفيقات الراوي في أدلجة الرواية.

المصادر

الف) عربي

كتب

- أبو حاقّة، أحمد، (١٩٧٩م): الالتزام في الشعر العربي، ط ١، بيروت، دار العلم للملايين.
- برو، فيليب، (١٩٩٨م): علم الاجتماع السياسي، ترجمه: محمد عرب صاصيلا، ط ١، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
- بشير العوف، مؤمنة، (٢٠٠٨م): في الرواية العربية المعاصرة، ط ١، بيروت، دار المشرق.
- البعليكي، رمزي منير، (٢٠٠٨م): المورد الحديث، بيروت، دار العلم للملايين.
- حسيني، عبدالله وتورج سهرابي، (٢٠١٧م): النقد الأدبي ونظرياته، دمشق، تموز للطباعة والنشر والتوزيع.
- راغب، اميل، (٢٠٠٣م): الموسوعة النظرية الأدبية، ط ١، مصر، الشركة العالمية للنشر للونجان.
- ساجكوف، بوريس، (١٣٦٢م): تاريخ رئاليسم، مترجم: محمد تقى فرامرزي، طهران، نشر تندر.
- عبده، غانم، (١٩٩١): نقض الاشتراكية الماركسية، ط ٢، بيروت، دار النهضة الاسلامية.

أدلجة الاشتراكية التكاملية في رواية «الشراع والعاصفة» لحنّا مينه رضا ناظميان، إحياء كمامسي

عروي، عبدالله، (٢٠١٢): مفهوم الإيديولوجيا، ط٨، مغرب، المركز الثقافي العربي.

عزّالدين، يوسف، (١٩٦٨): الاشتراكية والقومية وأثرهما في الأدب الحديث، بغداد، معهد البحوث والدراسات العربية.

عطا، جمال محمد، (٢٠١٣م): الجمالي والإيديولوجي، دراسة في تشكيل المعنى الشعري وآليات القراءة، ط١، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة.

موسى، سلامة، (٢٠١٢): الاشتراكية، القاهرة، هنداوي.

مينه، حنّا، (١٩٨٢م): الشراع والعاصفة، ط١، بيروت، دار الآداب.

وادي، طه، (٢٠٠٢م): الرواية السياسية، الشركة المصرية العالمية للنشر للونجان.

ج) الدوريات

نحضور، أديب، (١٩٦٩م): «المضمون الاجتماعي في رواية: الشراع والعاصفة»، المعرفة، العدد ٩١، صص ١١٨-١٣٠.

الخطيب، حسام، (١٩٧٢م): «الواقعية الاشتراكية نظرة وموقفاً»، المعرفة، العدد ١٢٢، صص ٣٩-٥٢.

عطية، أحمد، (١٩٧٤م): «الواقعية الاشتراكية في النقد العربي الحديث»، الآداب، السنة ٢٢، العدد ٢، صص ٣٨-٤٥.

غالي، شكري، (١٩٦١م): «الواقعية الاشتراكية في النقد العربي الحديث»، الآداب، السنة ٩، العدد ١، صص ٤٩-٥١.

الماضي، شكري، (١٩٨٩م): «الدلالة الاجتماعية للشكل الروائي (في روايات حنّا مينه)»، فصول، العدد ٣١ و ٣٢، صص ١٤٢-١٦٢.

چگونگی ایدئولوژی کردن سوسیالیسم در رمان

«الشراع والعاصفه» حنا مینه

رضا ناظمیان^۱، إحياء کماسی^{۲*}

۱. استاد گروه زبان و ادبیات عربی دانشگاه علامه طباطبایی

۲. دانشجوی دکتری زبان و ادبیات عربی دانشگاه علامه طباطبایی

چکیده

ایدئولوژی تلاش می‌کند ریشه‌های دانش بشری و شاخه‌ها و مرزهای آن را بیابد. میان این علم و ادبیات رابطه نزدیکی برقرار است. ایدئولوژی کردن به معنای پیروی از یک آموزه خاص یا یک تفکر و یا اتخاذ یک رویکرد خاص است. سوسیالیسم یکی از مشهورترین نظریه‌ها و ایدئولوژی‌های برجسته در رمان‌های عرب است. یکی از اهداف این نظریه پیروی از مطالبات طبقه کارگر و تشکیل جامعه‌ای انسانی و عادلانه روی زمین است. حنا مینه رمان‌نویس سوری است. وی رمان‌هایش را به عنوان ابزاری برای بیان دیدگاه‌ها و ایدئولوژی خود به کار می‌گیرد. رمان «الشراع والعاصفه» از جمله رمان‌های حنا مینه است که چشم‌انداز و جهان‌بینی خاصی از نویسنده آن به دست می‌دهد. اهمیت مسئله چگونگی ایدئولوژی کردن رمان به وسیله رمان‌نویس، نگارنده را به سمت این موضوع سوق داده است تا با رویکرد توصیفی - تحلیلی به بررسی آن بپردازد. از جمله مهم‌ترین یافته‌های تحقیق پیش رو این است که برجسته‌ترین ویژگی سوسیالیستی رمان، یکپارچه‌سازی (تکامل) است که در دو محور اصلی مطرح شده است: (۱) تکامل تاریخی؛ (۲) تکامل شعور افراد. نکته دیگر اینکه هیچ اثری از تصنع در زبان رمان‌نویس به خاطر پایبندی وی به ایدئولوژی سوسیالیستی دیده نمی‌شود.

کلیدواژه‌ها: ایدئولوژی؛ ایدئولوژی کردن سوسیالیسم؛ رمان‌های عربی؛ الشراع والعاصفه.